

الإعلام و التجربة النقدية النسوية فاعل ظل العولمة

د(ة) : بوزة باية.

جامعة المدية

المخلص:

في إطار التسليم بالدور الحاسم الذي يلعبه الإعلام سواء في ترتيب أجندة الجمهور و تحديد القضايا ذات الأولوية أو في تشكيل النسق الثقافي والقيمي من خلال قدرته على التأثير المستمر والمتعدد الأبعاد على كافة الشرائح بغض النظر عن جنسها و سنّها، يكون من المفيد الوقوف على قدرة الإعلام وأهميته في إثراء التجربة النقدية النسوية - في سياق التحولات المشهودة التي تؤسس لها العولمة عبر مختلف آلياتها - لخلق أشكال جديدة من الوعي بالقضايا الفكرية للمرأة في ضوء القراءة الصحيحة للتجربة النقدية النسوية. هذا يدفعنا للتساؤل عن دور الإعلام عموما والعربي على وجه الخصوص في إثراء التجربة النقدية النسوية؟ وتسعى هذه الورقة البحثية للإجابة عن السؤال المطروح.

Abstract:

The crucial role played by the media in ordering of the public and identifying the major issues or forming of cultural and the moral Layout through its ability to continuous and mult-dimensional effect to all people regardless their sex and age. It is useful to identify the media's ability and its importance to the enrichment critical experiment feminism - in the context of the witnessed shifts that establish its globalization through various mechanisms - to create new forms of intellectual awareness of the issues of women in the light of a correct reading of critical feminist experience.

This leads us to wonder about the role of the media in general and the Arab world in particular, in the enrichment of the critical feminism experiment?

Key words: The Media- the critical feminism experiment- globalization

الكلمات المفتاحية : الإعلام . التجربة النقدية النسوية . العولمة.

مقدمه :

استأثر الأدب كفن من فنون القول بمكانة فريدة في مختلف الحضارات رغم تعدد مشاربيها و تباين لغاتها، مستفيدا من اهتمام النقاد بتمحيص مخرجات هذا الفن الراقي و غريلته اعتمادا على مناهج عديدة.

و لعل من أهم المؤشرات الدالة على التحول الذي شهده الحقل النقدي العربي هي بروز نوع من النقاد المتخصصين في مجال الدراسات الأدبية البحتة، و قد أدى هذا التخصص على المستوى النقدي إلى ظهور المبدع المتخصص أيضا على مستوى الجنس الأدبي الواحد.

إلا أن الالتفات للتجربة النقدية المرتبطة بالإبداع الأنثوي ظلت نادرة، ومغيبّة لأسباب عديدة بعضها يتعلق بالنسق الثقافي، الذي يضع المرأة في مرتبة أدنى و يحرمها بذلك من حقها الطبيعي في التعبير عن ذاتها و همومها، والبعض الآخر يرتبط بانحياز الوسائل الإعلامية للقضايا التي تذر الريح وتحقق العوائد، فجدولة المحتوى أساسها قانون العرض و الطلب المتحكم في سوق الإنتاج اللامادي، لذلك يضيق المجال و لا يتسع أمام القضايا الفكرية والأدبية، فقلما يخصص الإعلام بمختلف وسائله بعضا من مساحته أو وقته ليعالج قضية النقد الأدبي الأنثوي، رغم أن الإعلام أداة فعالة يمكن المرأة المبدعة من التواصل مع جمهورها كما يمنح المرأة الناقدة منبرا للحكم على ما تنتجه قرائح غيرها من بني جنسها.

فهل أدى التقدم التكنولوجي و الوسائط الرقمية إلى منح التجربة النقدية الأنثوية نفسا جديدا خصوصا بعد الارتفاع الملحوظ في عدد المبدعات، والجزم

بأهمية النقد في تنمية الحس الإبداعي النسوي، حيث يعوّل عليه في صقل المواهب ، لكونه يرصد حركة النص الإبداعي و يستبطن جوهره. فلا يمكن لجماليات النص الإبداعي الداخلية و الخارجية، أن تتجلى بمعزل عن الرؤية النقدية المعززة للتجربة الانفعالية للكاتبة أو الشاعرة.

يبدو جليا للوهلة الأولى أن الإعلام بوسائله العديدة و آلياته المستحدثة قد ضاعف من حظوظ الرسالة في الوصول إلى جماهيرها من دون قيد أو شرط ، خاصة في ظل العولمة بما أفرزته من تسهيلات . مما يقودنا للتساؤل عن حدود العلاقة بين الإعلام و الأدب النسوي ؟

و ما مدى اهتمام الإعلام عموما و العربي على وجه الخصوص بهذا النوع من المواضيع و هل هناك أسباب تحول دون تغطيته لها ؟
و ما دور العولمة في إثراء التجربة النقدية النسوية في ظل الآليات المختلفة التي تمتلكها ؟

أولاً: تحديد المصطلحات

1- **النقد** : علم عرفته حضارة الشعر العربي في وقت مبكر، يقوم أساسا على الموازنة بين المعاني و الألفاظ و الصور اعتمادا على خبرة الناقد الخاصة وملكته الفردية و حصافته التي تتجاوز المدلول الظاهري للعمل لتسبر أغواره من الداخل بفضل النظرة العميقة الممحصة.

من هذا المنطلق فكلمة النقد تحمل في طياتها أكثر من دلالة :

فنقد الدرامهم : بفتح القاف تعني اختبرها و ميّزها و نظر فيها ليعرف
جيدها من رديئها.

و نقد الكلام : أظهر ما به من العيوب و المحاسن. و نقدت
العصفورة الفخ ، توجست خيفة منه فاختره حذرا و نقد خالد مصطفى ، اختلس
النظر نحوه لئلا يفطن إليه¹ .

أما بكسر القاف: فنقد الطعام نقدا وقع فيه الفساد، و نقد الحافر تآكل
و تكس، و تناقد القوم تناقشوا.

من الناحية الاصطلاحية: فالنقد يتخذ من النص ميدانا له حيث
يشتغل الناقد على المادة الإبداعية موظفا خبرته و ذكائه ليمحص قيمة النص
فيعرف إن كان مبتكرا أو متأثرا بنص آخر.

2- **النقد النسوي** : مصطلح حديث النشأة نسبيا لكنه يفتقر لتحديد دقيق يمكن
على ضوئه الإجابة على السؤال: هل تتصرف المتابعة النقدية في هذا العلم
إلى كل نص أدبي أنثوي أم أنها تشمل فقط النصوص التي تتحدث عن الأدب
الأنثوي و إن كانت بأقلام ذكورية. يبدو أن هذه الأسئلة تمثل جزءا من الواقع
الملتبس ، الذي دفع الغرب للاجتهاد عساه يتمكن من حل اشكالية الاختلاف
المتعلقة بالحدود الفاصلة بين الأدب النسوي و النقد النسوي.

3- **الإعلام**: ساق المختصون جملة من التعاريف لهذا المفهوم أجمع معظمها
على أن جوهره يقوم دائما على الاتصال ، لنشر المعلومات على أوسع نطاق

¹ - فؤاد فرام البستاني: معجم الطلاب ، الطبعة السابعة و العشرون ،دار المشرق ، بيروت ، 1986 ، ص
822 .

ممكن والإعلام عموما هو جمع المعلومات ونشرها. باستخدام الأساليب العلمية في الجمع و التصنيف والإخراج والتكنولوجيا المتقدمة في عملية الاتصال بالجمهور المعنى باستقبالها. في ظل أسلوب مناسب نفسيا واجتماعيا¹.

و حسب عبد الرحمن عزي فالإعلام : يعني أساسا الخبر (بخصائصه : الأهمية و الآنية) و الوسيلة و الجمهرة و التدفق الأحادي نسبيا ، ينطبق ذلك على الصحيفة و المجلة و الإذاعة و التلفزيون . أما الحاسب و الشبكات المعلوماتية فهي تجمع الإتصال و الإعلام إذ توجد وسائل الإعلام في هذه الوسيلة و من ثم سميت بالإعلام المتجدد².

و لا بد من الإشارة إلى في البداية إلى أن الأدب يقوم في جوهره على البعد الإتصالي ، لذا فعمليات التفسير الإعلامي للأدب ترتكز على أساس من العبارة الإعلامية الشهيرة .

من ؟ الأديب .

يقول ماذا؟ الرسالة الإبداعية.

لمن ؟ الجمهور المتلقي .

و بأية وسيلة ؟ وسائل الإتصال بال جماهير .

¹ - هالة منصور : الاتصال الفعال، مفاهيمه أساليبه ومهاراته، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 117.

² - عزي عبد الرحمن : دعوة إلى فهم المصطلحات الحديثة في الإعلام و الإتصال ، الطبعة الأولى ، الدار المتوسطة للنشر ، تونس ، 2011 ، ص 14 .

و بأي تأثير ؟

يضاف لذلك تعديل ريموند نيكسون الذي يتصل بالموقف العام للإتصال و الهدف من العملية الإتصالية.

4- **العولمة** : ظاهرة كونية استحوذت على اهتمام و الباحثين فساقوا لها العديد من التفسيرات و التحليلات و الأبعاد بيد أن أغلب العلماء أكدوا على بعدين رئيسيين لها ، يتعلق الأول بزوال الحواجز الجغرافية بسبب تقدم نظم الإتصالات، أما الثاني : فيتمثل في الدور الهام لذي تضطلع به المؤسسات العابرة للقارات على الساحة الدولية ، بالإضافة إلى دور الدول القومية. جدير بالذكر أنه في ظل العولمة تغيرت الأدوار أو تداخلت بين عناصر الإتصال و بات المرسل و المستقبل يتبادلان الأدوار في معظم الأحوال.¹ وفي هذه الورقة البحثية سوف يقتصر استخدام مفهوم العولمة على مجال الإتصالات و وسائل الإعلام الجماهيرية على وجه الخصوص

ثانيا : **المسيرة الإعلامية للأدب النسوي**

على مدى قرون خلت مر ملايين البشر على الحياة مرورا هامشيا، غير معلن و لا مرصود ، لا لأنهم حرموا القدرة على التفكير و التعبير بل لأنهم عجزوا عن امتلاك وسيلة تمكنهم من الإفصاح عن آرائهم ، وترجمة ما يختلج في صدورهم، بالتوازي مع ذلك كان أهل العلم و الأدب يتمتعون بذیوع

¹ - فيصل أبو عیشة الإعلام الإلكتروني، ط1، دار أسامة للنشر، و التوزيع عمان ، الأردن ، 2010 ، ص

الصيت، لأنهم كانوا يمتلكون الوسيلة الناجعة التي مكنتهم من التعبير والتوصيل.

ففقدان الوسيلة الإعلامية حجب صوت الجمهور العريض، و منعه من أن يحفظ في ذاكرة التاريخ كما حفظت أسماء العديد من الشعراء و أصحاب المعلقات.

لقد كانت الحضارة الإنسانية الأولى مبنية على المخاطبة الشفاهية، وهي أول صيغة اتصالية و إعلامية ، تتميز بكونها صيغة عملية و إنسانية حرة ، كان للمرأة المبدعة خلالها حيزا ضئيلا تتحرك في إطاره ، الشاهد على ذلك ما حفظه الدهر من أقوال بعض النساء اللواتي كان لهن باع طويل في الشعر و النثر، كالخنساء على سبيل المثال لا الحصر.

ثم جاء التدوين و الكتابة ليكونا بداية عهد جديد يحمل صيغة تعبيرية أرقى من سابقتها و أكثر قابلية للحفظ و للخلود و الانتقال ، لكنها ظلت نخبوية كعادتها و يغلب عليها طابع الفحولية ..

لقد استأثر الأدب خلال هذه الفترة بمكانة مرموقة باعتباره الوسيلة الوحيدة للتعبير عن بشرية البشر و الشاهد الصادق على البيئة، و المجسد لقضايا الناس ، لكنه حمل عيوبه الخاصة التي تعكس عيوب كل شيء تعوزه المنافسة، حيث طغت عليه النسقية و صار صورة متكلمة بلسان الخطاب المهيمن مهما كانت صيغته و فحواه ، وهي في هذا المضمار نسقية مؤسساتية طغت عليها الفحولية و طبعها الصوت الواحد المعبر عن الفرد أو الجماعات النخبوية، أما النساء فقد كان نصيبهن الإقصاء و التهميش، و عوملن معاملة

المتاع، فلم يكن بوسعهم أن يتكلمن عن مضمرهن في القديم إلا عبر حكايات مثل ألف ليلة و ليلة و الحكايات الشعبية، إلا أن ضيق مجال الوسيلة أثر سلبا على مجال التعبير و جعله عرضة للعبث و التحريف ، كما حصل في ألف ليلة و ليلة حيث كان الأصل فيها أنها حكاية نسوية و لكن تدوينها من قبل الرجال أحدث فيها تحريفا لمصلحة الخطاب الفحولي و ضد تطلعات المرأة و حسها الإبداعي ...

و مع مجيء الصورة، تأسست صيغة لغوية جديدة تختلف اختلافا جذريا عن الصيغتين السالفتين : الشفاهية و المكتوبة .

جاءت الصورة لتؤكد قول ميرزوييف : "إن الأدب برجوازي و الصورة ديموقراطية" أجل إنها أداة ديموقراطية بامتياز لأن الجميع يتساوى في استقبالها دون تمييز في الجنس أو انحياز للعرق ، الصورة لا تنتقى شخصا ولا تنفي آخر، بل تحيل الجمهور المستقبل إلى كتلة ذهنية بشرية واحدة ذات خصوصية ثقافية عالية جدا، و هذا نقيض ما كان سائدا في الصيغ التقليدية حيث كان الأدب هو الوعاء الوحيد الذي تصب فيه الطبقة البرجوازية أفكارها وتتحدث عبره عن رؤاها، و تترجم بموجبه انشغالاتها.

و التغيير الذي أحدثته الصورة في عالم التواصل و الدلالة كبير وخطير، ولد لدى بعض رواد الأدب، ردود فعل سلبية يطبعها الحنين إلى الماضي و التباكي على المجد المفقود.

فلا شك أن الأدب في هذه المرحلة فقد دوره الكبير الذي كان يتمتع به من قبل. و لهذا نسمع هذا النعي المستمر للذات الأدبية التي صارت تعبيرا

برجوازيًا و قد كانت تدعي الشعبية و الجماهيرية، و لم يبق من فنون الأدب إلا ما هو قريب من فن الصورة و الدراما كالرواية و الخطاب السردى الذي ازدهر في زمن الشفاهية، ثم ارتفع مقامه مع ثقافة الصورة، في ظل تلاشي فنون، كانت قد ازدهرت فيما مضى، كالشعر الذي عرف تراجعًا غير مسبوق نظرا لارتباطه الشديد بالنخبوية و الفحولية.

جدير بالذكر أن التلفزيون لم يلبث إلا فترة وجيزة حتى احتوى دوائر الإستقبال البشرى قاطبة مستفيدا من التطورات السريعة التي وسعت من آفاق البث الفضائي و الرقمي .

إلا أن التلفزيون ظل أداة ثقافية ذكورية ، لم تختلف في نمط الهيمنة عن الثقافة الإنسانية المتمثلة بالنص المدون و الكتابة ، التي طغى عليها النسق الفحولي، فالصورة كأداة اعلامية انطلقت من هذا النسق و سعت لتعزيزه و الإبقاء عليه. أما المرأة بمنتوجها الفكري الذي حجب معظمه في سياق الصيغ التعبيرية المشار إليها، فقد تعرضت على مدى تاريخها الطويل لعمليات تصنيف طبقي و ثقافي من جهة، و عمليات إقصاء علمي من جهة ثانية، لذا ظلت مادة خاما مهياة للاستعمال و التبويب الثقافي، متى دعت الضرورة ذلك بحجة كون المرأة عنصرا جاهلا حسب التصنيف الثقافي، على أن ذلك لم يكن جهلا بقدر ما كان تجهيلا متعمدا و من الممكن هنا أن نستشهد بمقولة نقلها ابن كثير تقول: "إن العلم رجل و لا يصلح للنساء

ومصطلح العلم هنا يعني الثقافة و المعرفة بكل وجوها حتى مسائل ابداء الرأي¹.

مع أن العمل الفني الحقيقي ليس حكرا على الرجال بل هو على حد قول تولستوي " ذلك الإنتاج الصادق الذي يمحو كل فاصل بين صاحبه من جهة و بين الإنسان الذي يوجه إليه من جهة أخرى ، ثم هو أيضا ذلك الإنتاج العامر بالعاطفة الذي يكون من شأنه أن يوحد بين قلوب كل من يوجه إليهم".

و قد أصبح الإتصال بال جماهير في أعقاب التقدم التكنولوجي في المجتمع قادرا على الوصول إلى عدد ضخم من الناس، و لهذا السبب لا يتطلب الأمر وجود عدد كبير من وسائل الإتصال كما كان في القرن الماضي، فإذااعة قصيدة في جميع أنحاء البلاد عن طريق الصوت البشري لا يستلزم ملايين الرواة ، بل يمكن لإذاعة واحدة أن تقوم بالمهمة و توصل الرسالة إلى الجمهور العريض المكون من ملايين الأفراد في نفس الوقت ، و قد يتجاوز الأمر ذلك إلى إيصال محتوى القصيدة إلى جميع أنحاء العالم بكبسة زر واحدة على مفاتيح كمبيوتر متصل بشبكة الإنترنت.

هذا يشبه تماما ما يحدث في أنظمة المجتمع الإقتصادية و الإجتماعية حيث يؤدي الإنتاج الضخم للسلع بقليل من المصانع إلى انتاج كميات كبيرة من سلعة معينة.

¹ - عبد الله الغدامي : الثقافة التلفزيونية ، الطبعة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب،

ثالثا: النقد الأدبيّ الأنثويّ ظلّ العولمة الإعلامية

الأدب في أبسط معنيه هو فن الإبانة عن مكنونات النفس و التعبير الجميل عن خوالج الوجدان و التصوير الناطق للطبيعة، و التشخيص العميق لمظاهر الكون و مشاهد الوجود. لذا فهو فن من الفنون الرفيعة، يصور الحياة في بساطتها و تعقيداتها و يرصد تموجات الذات و يستبطن دواخل النفس، كما يهز المشاعر بجماله و روعته. لذا فقد حظي أهل الأدب و خاصته بمنزلة رفيعة ، في مختلف الحضارات. و على مر العصور و الأزمنة.

و رغم أن المرأة عرفت بشاعريتها إلا أن التاريخ لم يحدثنا عن علاقة المرأة بفنون الأدب إلا بصورة مقتضبة، وردت في ثنايا بعض الكتب التي أشارت إلى أن قلة قليلة من النساء كان لهن من الفصاحة و البلاغة نصيب وافر، فنظمن الشعر و كتبن في أنواع من النثر ، و لم يكن حظ المرأة من الأدب كمبدعة يزيد عن حظها منه كناقذة بسبب التهميش تارة و التجهيل طورا.

لذا فالأرجح أن النقد النسوي نما و ترعرع ، حين تمكنت المرأة من اقتحام مجالات العمل العامة و خروجها من دائرة الإقصاء ، مما أتاح لها فرص الاشتراك في أنشطة لا حصر لها و فتحت أمامها باب العلم و التعلم ، فصار بمقدورها أن تلج عالم الكتابة الإبداعية و الثقافية و تدلي بدلوها في الأمور المتعلقة بمجالات الحياة المتعددة ، فضلا عن امتنانها لمهنة الصحافة و عملها في ميدان التأليف في ظل اختلاف البيئات و تنوع الثقافات ، و لم يكن مجال النقد من المجالات المحظورة على المرأة، لذا سعت لوضع لمستها المتميزة كي تعبّر عن وجودها و تترك بصمتها في هذا المجال الذي كان من

قبل حكرًا على الرجال، خصوصًا في إطار النقد البنيوي الذي وجدت فيه الناقداً الأمريكيات على وجه الخصوص بغيتهن، لأن النقد البنيوي يميّز المؤلف و هنا ينتفي جنس المبدع سواء كان ذكرًا أو أنثى.

و بمجيء العولمة تضاعفت امكانيات المرأة المبدعة ليس في التعبير عن ذاتها و حسب بل في الوصول إلى جمهورها أيضًا، بالتوازي مع ذلك أتاحَت العولمة للمرأة فرصًا عديدة لإثراء تجربتها النقدية، بفضل إزالة الحواجز النفسية و العرقية و التخلص من العقد و الرواسب الفكرية و اختراق الأبعاد الجغرافية ، مما ساعد على انسياب النتاجات الحضارية و الأدبية التي أثمرتها الإنسانية قاطبة في نطاق مجهود مشترك يمكن لشعوب المعمورة أن تتقاسمه، و تطلع عليه في إطار نظام علائقي يرفع شعار الأخوة و ما تقتضيه من انفتاح على الآخر و اطمئنان إليه.

لكن هل بالفعل يمكن للتجربة النقدية النسوية أن تنمو و تزدهر في عصر السرعة الذي حدا ببعض المفكرين لوصف هذا القرن " بالقرن القصير"¹ لأنه يصنع تاريخه وفق قانون " حاصل الجمع الصفري ، في ظل سلسلة لا متناهية من جولات الهدم و إعادة البناء حولت كوكب الأرض من عالم متناه من الحقائق اليقينية إلى عالم لامتناه من الشكوك ؟

إن هذا الوضع سيلقي بظلاله و لاشك على المنتج الأدبي و أيضًا على التجربة النقدية العربية لأن الإعلام يمثل رهانا من أهم رهانات العولمة وآلياتها في تعميم الثقافة الغربية و نشرها علما أن لمفرزات التكنولوجيا تأثير

¹ - شوقي أحمد : مغزى القرن العشرين ، (د.ط)، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 1999.

واضح على طبيعة المجتمعات في عصر تنهوى فيه الأفكار عند حدود بدايتها و تتقدم فيه النظم و هي في أوج حداثتها، عصر تتآلف فيه الأضداد، فالمعرفة على اختلاف مجالاتها قوة و القوة أيضا ركيزة تثبيتها المعرفة ، و هذا التضاد المعرفي وثيق الصلة بالاقتصاد، فالمعلومات مال بعد أن أصبحت موردا تنمويا يفوق في أهميته الموارد المادية و المال بدوره أوشك أن يكون مجرد معلومات، نبضات و إشارات و شفرات تتبادلها البنوك في معاملاتها المالية إلكترونيا.

هي إذن ثورة مجتمعية عارمة بكل المقاييس دان فيها العالم لسيطرة الصغير متناهي الصغر من جسيمات الذرة و جزيئات البيولوجيا الجزيئية، والأخطر من ذلك أنه دان لسيطرة ذرة المنطق السوري التي بلغت ذروتها في ثنائية " الصفر و الواحد" الثنائية الحاكمة التي قامت عليها تكنولوجيا المعلومات . لقد استدرج التعقد إنسان هذا العصر إلى شبابه حتى كاد يتجاوز قدرته على الحل. و صدق من قال " كم نحن جوعى للحكمة و المعرفة و نحن غرقى في بحور البيانات و المعلومات¹.

لقد تعلمت الفنون و الآداب و استأثر النموذج الثقافي الغربي بنسبة معتبرة من الانتشار بينما فرض النموذج الثقافي الأمريكي نفسه بقوة ليصبح بذلك مركز كل حادثة و معيار كل معاصرة. في حين تراجع نصيب الأمة العربية بسبب عدم قدرتها على مجاراة متطلبات النمط الإتصالي الجديد.

¹ - نبيل علي : الثقافة العربية و عصر المعلومات ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، العدد 265 ، ص : 12.

فإنتاج الأفلام صار اليوم أشبه بإنتاج الأفكار، كلاهما يدخل في إطار ما اصطلح على تسميته بالوعي المعلن، كما أن أغلب الأعمال الإبداعية صارت خاضعة كغيرها لقوانين إنتاج السلع كقانون العرض و الطلب كما أصبح الإستثمار في هذا القطاع قائما و له اسمه و خصوصيته إذ هو استثمار في مجال الرأسمال الرمزي على حد تعبير بيار برديو **P.Bourdieu**.

أما الآداب أشكالاً روائية و أبنية شعرية فيحق القول فيها وفق ما نشاهده و نقرأه أنها ولدت معولمة و ذلك إذا قصرنا النظر في الاعتبار الأكاديمية التي ترى التحول في الأشكال و بقاء المضامين في قسمها الغالب نابعة من التربة الأصلية معبرة عن الهموم الخاصة بالمجتمع الذي نسلها وألهمها ، و هذه الجوانب من الثقافة المعولمة ذات الأصل و البعد الرأسمالي قد طالت كافة المجتمعات بنسب متفاوتة من العمق و بدرجات مختلفة من التمكن. نظرا لقدرة الإعلام الجديد على توفير المعلومات و سرعة نشرها و بثها و التقاطها و تبادلها.

لكن بالتوازي مع ذلك تجذر الإشارة إلى أن المعلومة قد تحولت إلى بضاعة محايدة ذات شكل واحد و أبعاد واحدة و مصادر واحدة ، الأمر الذي يهدد بوجود عالم متنوع الأوجه و متعدد الأطراف.

لأن فحوى الإعلام لم يعد يقتصر على نقل المعلومات أو تقديم المواد الترفيهية و إنما أصبح أعمق و أكثر خطورة ، فهو قادر على تشكيل الإدراك بمعنى أن الإعلام و من خلال وسائل عديدة يحدد لنا الطريق الذي نفهم به

الأشياء و القضايا وفقا لمنظور معين يتم وضعه بأسلوب أو بآخر من خلال صناع الرسالة الإعلامية.¹

من هذا المنطلق يمكن للإعلام فعلا أن يثرى التجربة النقدية النسوية على أكثر من صعيد، فمن الممكن أن تنتقي الناقدة ما تريده من نصوص بسهولة ويسر و سرعة، و من الممكن أيضا أن تعقد المقارنات بين النص المنتقى و غيره من النصوص المشابهة، لنتمكن في ضوء ذلك من الحكم عليه بصدق، كما يتيح لها الإعلام المساهمة في تقاسم تجربتها النقدية مع غيرها من الناقدات، فضلا عن قدرتها على الاطلاع على آخر أحدث المناهج المستخدمة في تمحيص العمل الأدبي، خاصة في الغرب الذي قطع أشواطاً طويلة في هذا المضمار.

لكن هذا المسعى لن يتحقق مالم تكن هناك خطوات عملية لحماية المنتج الفكري الأدبي العربي و تشجيع الخلق و الإبداع الفردي، و تيسير السبيل أمام المرأة المتعلمة للتخصص في هذا المجال، حتى لا نحرّم العالم حقه من التمتع بفيض من الإبداعات المختلفة بطريقة ديموقراطية و حتى لا تتصهر المجتمعات المستهلكة بما فيها العربية في قوالب مسبقة تفرضها وتأسس لها الدول المصنعة صاحبة حق القرار فيما يتعلق بالمحتوى، و قوة التنفيذ المتعلقة بالتحكم في هذه الوسائل و تطويعها .

¹ - محمد عبد المطلب جبر : المصطلح و الأداة في الصورة الفنية ، علامات في النقد ، النادي الأدبي ، جدة ، مج 16 ، ج 64 فبراير ، 2008 ، ص 288 .

رابعاً: واقع النقد الأنثوي العربي

بدأت مسيرة ما يسميه المفكرون بالنهضة العربية الحديثة منذ قرنين من الزمن ، فمع إطلالة القرن التاسع عشر اتضحت معالم انتقال المجتمع العربي من الطابع التقليدي القديم ، ذي العلاقات الإقطاعية بتعبير السياسيين إلى الطابع المدني الحديث، حيث كان ينتظر أن تمضي عجلة التنمية قدماً إلى الأمام ، لكي تحرز الأمم العربية تقدماً في مختلف المجالات العلمية والثقافية والأدبية ، و قد عدت المرأة في هذه المرحلة بالذات شريكاً استراتيجياً فاعلاً في مجال التطوير حين اقتحمت العديد من الميادين العلمية والأدبية بما في ذلك مجال النقد و نقد النقد. إلا أن المرأة العربية ظلت متمسكة بخصوصيتها التاريخية والثقافية التي تميزها عن نظيراتها.

فتصفح التاريخ العربي القديم يوضح لنا بجلاء أن المرأة قد شاركت في نقد و تمحيص بعض الأعمال الأدبية، بما توفر لها من اتقان للغة العربية والعلم بجيد اللفظ و نفيس المعاني المستقى عادة من الخبرة و التمرّس .

و مع الطبيعة المتجددة للحياة و التغيير المطرد في البيئة الحضارية وجدت المرأة نفسها مضطرة و راغبة في مزاوله وظائف عدة منها ما هو وثيق الصلة بالكلمة كالتدريس و الترجمة و الطباعة و الصحافة و العمل في وسائط الإعلام التقليدية منها و الحديثة، و هذا المناخ الجديد لم يساعد المرأة فقط على تنمية حسها الإبداعي بل مكنها أيضاً من خوض غمار الكتابة بكل ألوانها خاصة الرواية و القصة و الشعر، مما يستلزم حضور المرأة الناقدة القادرة على سبر أغوار الأنتى المبدعة من خلال ولوج عالم كلماتها، و فهم رسائلها المشفرة

التي تحمل في ثناياها هموم و معاناة المرأة العربية في ظل ارهاصات الواقع الاجتماعي و الإقتصادي الذي تعايشه.

و النقد الأنثوي هو ضرب من النقد تكتبه ناقدة أنثى لتمحّص به عمل مبدعات من بني جنسها سواء كن شاعرات أو ساردات، و يتضمن هذا النقد تفاصيل و جزئيات تجسد خصوصية ما يشغل بال المرأة من قضايا و مكابدات و ما يدور بخلدها من آمال و طموحات.

في هذا السياق حاولت الدكتورة يمنى العيد رصد النتاج النسوي بالإرتكاز على منطلقات النقد البنوي و ثنائياته ، المتضادة من خلال جهود وجدان الصائغ و سواها ممن سبقنها أو جالينها.

و خلصت في إثر ذلك إلى نتيجة مفادها أن النقد النسوي العربي لم تتبلور له شخصية ثابتة أو كيان خاص لهشاشة حضور الناقدة العربية التي تمتلك أدواتها النقدية¹.

لذا ينبغي الالتفات إلى أهمية ممارسة المرأة المتمكنة لهذا النوع من الفن ، لأن الكاتب بغض النظر عن جنسه هو في نهاية المطاف يترجم موقفا أو يجسد معنى أو يدافع عن قيمة، أو يرمي لغاية ، فإن لم يؤرقه في مسعاه ذاك التوق للمعرفة و الفعالية ، و لم يجد من يلتفت إليه ليقيم ما جادت به قريحته، سيجف مع الأيام معين عطائه و ستذبل رغبته و يتراجع انتاجه الفكري. ما لم تقده لهفته إلى معرفة الحقيقة التي تحتاج جهدا ذاتيا و تحتاج أيضا " للإقامة عند الآخر " على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور "

¹ - وجدان عبد الإله الصائغ ، الأنثى و مرايا النص ، دار نينوى ، دمشق ، 2004 .

وبدون تلك الإقامة الضرورية لن أصبح رؤيتي لنفسي و معرفتي لذاتي حينها سوف أحفر و أحفر و أحفر وصولاً إلى المخبأ كي أغسل نفسي حتى تتحرر من غبار السنين و أكون عوناً للآخرين و سنداً للفكرة التي أحببتها و حولتها إلى سيرة حياة، سيرة تجري في دماء اليومي و في كل تفاصيل الحياة العادية ليتكشف البعد الأسطوري المتخفي تحتها و يظهر المعنى جلياً ناصعاً، حتى لا يطبق الفراغ على الروح و تصيب عدواه الدماغ"¹

فبقدر تمكن الناقدة العربية و سعة أفقها اللغوي يمكنها أداء مهمتها في تمحيص العمل بجودة لأن الناقد بغض النظر عن جنسه كما يقول فراي :
يمسك بيده مفتاح أرض الأحلام ، بمعنى أنه يمسك بيده كافة الصور اللفظية و هو في مركز يمكنه من لحام جميع الحلقات المكسورة بين الخلق و المعرفة، بين الفن و العلم و الخيال و الإدراك و هذا كما يبدو بوضوح هو النتيجة الإجتماعية و العملية لجهود الناقد أو الناقدة .

فصقل الموهبة و الإرتقاء بالحس الإبداعي يتوقف بالدرجة الأولى على تمرّس الناقدة ، لأن الإتجاهات النقدية التي تصطبغ بصيغة قضائية كما يقول جون ديوي قد أفسدت مفهوم النقد نفسه، ذلك أن الحكم النهائي الحاسم يغلق السبيل أمام تجدد الطبيعة البشرية و على العكس من ذلك الحكم الذي ينمو ويتطور في مضمار الفكر ، كإدراك واع قد تحقق بنفاذ و عمق² .

¹ - مجلة أدب و نقد ، العدد 248، إبريل 2006، ص 20 .

² - محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف : التفسير الإعلامي للأدب العربي ، دار الجيل بيروت (دون س و د ط) ص 5.

و يمكن للإعلام في هذا السياق أن يلعب دورا محوريا، نظرا لخصوصية كل وسيلة من وسائله و قدرتها على توجيه إهتمام الرأي العام نحو قضايا النقد الأدبي عامة و النقد الأدبي النسوي على وجه الخصوص على اعتبار أن ما تكتبه المرأة من ابداعات إنما هو في حقيقة الأمر انعكاس للواقع الاجتماعي و الثقافي بكل تفاصيله.

لكن إذا ركزنا في تحليلنا على نظرية الفجوة المعرفية سنجد أن وسائل الإعلام تتحاز للفئات الأكثر امتيازا و ثقافة أكثر من غيرها، و تهتم بتغطية ما يهم هذه الفئات من قضايا ، و يترتب عن ذلك على المدى البعيد أن تقوم هذه الوسائل بتعميق الفجوة المعرفية بين مختلف الفئات .

و تعتبر هذه النظرية أن وسائل الإعلام تفيد الجميع في مستوى معين من المعرفة و الثقافة إلا أن درجة الاستفادة تزداد عند الفئات الأكثر تميزا ماديا و معرفيا ، لذا فقضايا النقد الأدبي الأنثوي تدخل في هذا الإطار، و يعود ذلك لعدة عوامل منها : أن الأكثر ثقافة أكثر استعابا و فهما لمضامين وسائل الإعلام من غيرهم. كما أن التخصص على مستوى الوسائل الإعلامية يتيح فرصة أكبر أمام المرسل(المرأة الناقدة) لانتقاء الوسيلة التي يراها أنسب لحمل رسالته.

لأن بعض الوسائل تتفوق في حمل مضامين معينة على سواها، أضيف إلى ذلك أن الفئات المتميزة أكثر احتكاكا بقيادة الرأي و النخب الثقافية الشيء الذي يساهم في توسيع مداركهم. و هذا القول ينسحب على المرأة العربية النافذة

التي يمكنها من خلال الوسائط الإلكترونية أن تثري تجربتها النقدية عبر التواصل مع غيرها من الناقدات باستخدام التكنولوجيا الرقمية.

النتائج :

إن ازدهار الحركة النقدية النسوية في أيامنا يؤكد أن المرأة تتمتع بالحس النقدي و الإبداعي إلى جانب تميزها بالوعي و الإدراك و القدرة على تجاوز حدود الكلمة الخرساء لاستنطاق النص الإبداعي الأنثوي لفك شفرة طلاسمة و الغوص في جوهر معانيه الباطنية على اعتبار أن المرأة عالمة نفس بالفطرة فإذا أضافت إلى ذلك تمرسها و خبرتها ستكون و لا ريب أقدر من غيرها على فهم مغزى ما تكتبه بنات جنسها، بإعمال العقل و اعتماد المنهج النقدي الذي هو أداة للدخول إلى رحاب العمل الإبداعي الأنثوي، لكن في ظل التطورات المتلاحقة التي يعرفها مجال الفن و الإبداع العالمي ينبغي للناقدة العربية أن تعمل على تجديد أدواتها من خلال ريادة أنماط مستجدة من النقد مستفيدة من الوسائط الإعلامية الجديدة التي تسهل سبل انتقاء المعلومات و الحصول عليها ، و سرعة تبادلها.

و يمكن على ضوء الدراسات التي اتخذت من ميدان النقد منطلقا لها لتمحيص الأدب الأنثوي الحكم على ظاهرة ندرة عدد الناقدات العربيات، لأن تذوق الأدب ينطوي في الكثير من الأحيان على قيمة زائدة و لاسيما في مجال النقد الأنثوي ، رغم التزايد الملحوظ حسب الباحثين في عدد المبدعات سواء في مجال صياغة القصيدة الشعرية أو كتابة القصة القصيرة و الرواية و بقية الأجناس الأدبية . فالنقد الصحيح يحتاج من المرأة الناقدة لفلسفة أسلوبية

خاصة متميزة أساسها الكلمة و حسن اختيارها و اللفظة و وضعها في موضعها.

في هذا الإطار تلعب الوسائط الإعلامية دورا محوريا في اثراء التجربة النقدية النسوية، من خلال تسليط الضوء على دور الناقدة في تمحيص العمل الإبداعي و التعريف بأدواتها. فالناقدة الخبيرة تمتلك معرفة بوقع الكلمة في نفس القارئ و قدرة على التمييز الدقيق بين حي الألفاظ و ميّتها و سهلها و صعبها و جميلها و قبيحها، و ملاك الأمر عندها هو التبيين و الإفهام للإفصاح .

المصادر والمراجع

1. شوقي أحمد : مغزى القرن العشرين ، (د.ط)، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 1999.
2. عبد الله الغدامي : الثقافة التلفزيونية ، الطبعة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، 2005
3. عزي عبد الرحمن : دعوة إلى فهم المصطلحات الحديثة في الإعلام و الإتصال ، الطبعة الأولى ، الدار المتوسطة للنشر ، تونس ، 2011.
4. محمد عبد المطلب جبر : المصطلح و الأداة في الصورة الفنية ، علامات في النقد ، النادي الأدبي ، جدة ، مج 16 ج 64 ، فبراير ، 2008 .
5. فؤاد فرام البستاني: معجم الطلاب ، الطبعة السابعة و العشرون ،دار المشرق ، بيروت ، 1986.
6. محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف : التفسير الإعلامي للأدب العربي ، دار الجيل بيروت (دون س و د ط).
7. فيصل أبو عيشة الإعلام الإلكتروني ط1 دار أسامة للنشر و التوزيع عمان ، الأردن ، 2010 .
8. هالة منصور: الاتصال الفعال، مفاهيمه أساليبه ومهاراته، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

9. نبيل علي: الثقافة العربية و عصر المعلومات ، عالم المعرفة ،
المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت العدد 265.
10. وجدان عبد الإله الصائغ ، الأنثى و مرايا النص ، دار نينوى
دمشق، 2004.
11. مجلة أدب و نقد ، العدد 248، إبريل 2006.